توظيف النودهي لقصيدة كعب بن زهير

م. م. نادية سعدي صالح
رئاسة جامعة الأنبار- شعبة تمكين المرأة
nadia.saadi@uoanbar.edu.iq

م.م. رقية عبد الرحمن مخلف
جامعة الأنبار- كلية الإدارة والاقتصاد
Ruqaya.a.m@uoanbar.edu.iq

تأريخ الاستلام: 2024/5/7 **تأريخ قبول النشر: 2024/3/1**

المستخلص

يتلخص البحث في محاكاة نص من النصوص الشعرية الموروثة عن السلف وهو قصيدة البردة لكعب بن زهير ، اتبعها الشعراء قديما وحديثا فعارضوها وخمسوها وشطروها .

وهذه الدراسة محاولة لتحليل قصيدة الشيخ النودهي الذي خمس قصيدة كعب بن زهير .وقد جاءت هذه الدراسة تحليلا للتوظيف الفني لبيان صور التلاقي والابتعاد بينها وبين قصيدة البردة .

الكلمات المفتاحية

النودهي ,قصيدة ,التخميس, النقد الأدبي , التوظيف الفني , كعب بن زهير، بانت سعاد ، البردة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى اله وصحبه اجمعينوبه نستعين وبعد

فلم يكن الإمام معروف النودهي قاصرا عن محاكاة كبار شعراء العربية في هذا الفن، اذ كانت له محاكاة لطيفة لقصائد مهمة لشعراء بارزين ، اخترنا منها محاكاته لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير بن أبي سلمى التي سميت البردة، ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول' متيم إثرها لم يفد مكبول'

وهذه القصيدة شغلت النقد الادبي العربي كثيرا، وتعرضت لكثير من التحليل والشرح والنقد والمعارضة الشعرية من لدن الشعراء. وجاءت معارضة الشيخ النودهي لها بقصيدته التي مطلعها:

دمي ودمعي مدرارٌ ومطلـــــول والقلب مضطربٌ والعقل مخبول

أشكو الفراق وعقد الصَّبر محلول بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

حتى بدا النودهي ينسج على غرارها في الوزن وحرف الروي والقافية، والنودهي وإن لم يكن يلتزم القافية نفسها في القصيدة كلها فان تنقلاته لا تحيد بعيدا عن التمثلات الفنية في البردة الأصلية ذاتها من حيث الأسلوب البلاغي ونقاء اللغة. بيد أننا نلحظ أسلوبا أكثر بساطة وقربا من الفهم حتى كأنه يسير بأسلوب السهل الممتنع، ونظنه يساير

العصر الذي مالت فيه الثقافة إلى البساطة، وحاجة المتلقين للبعد عن غموض الأساليب وغرابة الألفاظ. تقوم هذه الدراسة على تحليل قصيدة النودهي تحليلا فنيا لبيان صور التلاقي والابتعاد عن البردة.

كعب بن زهير بن أبي سُلمى :-

كعب بن زُهير هو شاعرٌ مخضرم كان ينتمي إلى عِلِيّة القوم من الشعراء، كما كان من الشعراء المشهورين في الجاهلية حتى بعد ظهور الإسلام، وهو سليل عائلةٍ موهوبةٍ بالشعر، فأبوه الشاعر الجاهِلي المعروف زُهير بن أبي سُلمى، وأخوه بُجير، وابنه عقبة، وحفيده العوام كانوا أيضاً من الشعراء، كما اشتُهر كعب بن زُهير بقصيدته اللاميّة التي مطلعها بانت سعاد، والتي قام الكثير من الكتاب بشرحها وتخميسها وتشطيرها ومعارضتها، كما أنّها تُرجمت إلى اللغة الإيطالية، واهتم بها المستشرق (رينيه باسيه) فنشرها مترجمةً ومشروحةً إلى الفرنسية (الاصفهاني,1415ه ,ج17 ,57).

قصة إسلامه:-

فقصة إسلام كعب بن زُهير من القصص المشهورة في التاريخ الإسلامي، حيث بدأت حين أعلن أخوه بجيرٍ إسلامه، فلم يعجب ذلك كعب الذي كان لا يزال مشركاً، فهجا أخاه ببضع أبيات نذكر منها الآتي: ألا أبْلِغا عني بجيراً رسالةً فهل لك فيما قلتُ بالخيفِ هل لكا شربت مع المأمون كأساً رويةً فانْهلكَ المأمونُ منها وعلّكا عند عودة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من حصار الطائف كتب بجير إلى كعب يخبره أنّ رسول الله قد قتل كلّ من هجاه وأذاه من شعراء المشركين، وأنّ ابن البعري وهبيرة بن أبي وهب قد هربا، فنصحه أن يأتيَ إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تائباً لينجو بنفسه لأنّه لا يقتل من أتاه تائباً، فكتب بجير بضع أبيات لأخيه نذكر منها الآتي: من مبلغُ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أحْزَمُ إلى الله لا العُزةَ ولا اللات وحدهُ فتنجو إذا كان النجاءُ وتسلمُ لما وصل كتاب بجير إلى كعب خاف خوفاً شديداً بسبب هجائه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فضاقت به الدنيا ولم يجد مهرباً، فاضطر إلى قول قصيدته التي مدح فيها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكر فيها شدة خوفه وإيقاع أعدائه به، ثمّ خرج إلى المدينة ونزل عند رجلٍ كانت تربطه به علاقة مودة، فصحبه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان في صلاة الصبح فصلّى معه، فقام كعب إلى رسول الله فوضع يده في يده، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يعرفه، فقال له: كعبٌ يا رسول الله، إنْ كعبَاً بن زُهير أتاك تائباً مسلماً، فهل أنت قابلٌ منه، إنْ أنا جئتك به؟ قال: نعم، قال: فأنا كعب، ويُروى أنّه وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقهُ، فكفّه النبي (صلى الله عليه وسلم) وقال: دعه عنك إنّه جاء تائباً. غضب كعب من الأنصار بسبب هذا الأنصاري، وبالمقابل لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال قصيدته المشهورة التي قالها حين قدم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتي مطلعها (بانت سعاد)، وفيها هجا الأنصار بسبب قسوتهم عليه وامتدح المهاجرين، وقد أُعجب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ببعض معاني القصيدة، ولما بلغ قوله: إنّ الرسولَ لنورٌ يستضاء به مهندٌ من سيوف الله مسلولُ قام عليه الصلاة والسلام فألبسه بُردَته إكراماً وتقديراً له .(الاصفهاني واخرون ,1415ه ,ج 17, 60).

الشيخ معروف النودهي:-

معروف النودهي (1166 - 1254 هـ / 1753 - 1838 م) متصوف، من أهل قرية نودي بالسليمانية وإليها نسبته. وهو محمد معروف بن مصطفى بن أحمد النودهي الشهر زوري البر زنجي الشافعي، ويعهد بالشيخ معروف النودهي، وبالبرزنجي. ولد في شهر بازار، تلقى علومه الأولى في قريته عن والده، ثم أكمل تحصيله عن الملا محمد الحاج، فأجازه في الفتيا. اشتغل بالعلوم الدينية ودرَس في جامع مدينة السليمانية. وتوفي بالسليمانية. ولقاضي السليمانية محمد الخال ، كتاب «الشيخ معروف النودهي البرزنجي» ، طبع في بغداد (دار مطبعة التمدن، 1961).

أهم آثاره:-

«الفرائد في العقائد» - (مطبعة الاتحاد - ط1 - الموصل 1893 م)

«القطر العارض في فهم الفرائض» - (مطبعة السعدي - ط1 - بغداد 1939 م)

«تنقيح العبارات في توضيح الاستعارات»

«الأحمدية في ترجمة العربية بالكردية» - (مطبعة السعدي - بغداد 1355هـ/1936م)

«تخميس البردة» - (مطبعة السعدي - ط1 - بغداد 1933 م)

«فتح الموفِّق في فهم المنطق»

«وسيلة الوصول إلى فهم الأصول» (النودهي ,1985ه ,27-30)

مشكلة البحث

شخصت الباحثة مشكلة هذا البحث وهي محاولة النودهي السير على خطى كعب في تخميس قصيدة يمدح بها النبي محمد "ص" فالتفت أولا إلى الافتتاح فصاغ على منواله ثلاثة أشطر الأولى من مخمسته:

دمي ودمعي مدرارٌ ومطلول والقلب مضطربٌ والعقل مخبول

أشكو الفراق وعقد الصَّبر محلول

(النودهي ,1985,71)

اهداف البحث

وظفت هذه الدراسة التوظيف الفني الذي استخدمه النودهي في تخميسه لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير ووفقا لهذا التوظيف نستنتج عدة امور :-

1- تشاطر الشاعران في الحزن ومعاناة الفراق والشكوى والألم. وأصابت أشطر النودهي الأولى(الدم والدمع عند معروف النودهي) علتا القطع في العروضة، والخبن في ضربها. وتكاد المقدمتان أن تكونا واضحتي المعنى خلتا من الألفاظ الغريبة أو الغامضة، كما أنهما مقدمتان أقرب إلى الخطابية المباشرة منهما إلى الإيماء والترميز والتشفير.
2- الموازنة الفنية في الاستهلال بين النص اللاحق(المخمسة) والسابق(اللامية)، فإننا نجد النودهي اقتفى اثر كعب في وصف مفاتن حبيبته، فهي كما سعاد عشيقة كعب، رشيقة أنيقة، يفوح فمها عطرا، وأردانها مسكا، عذبة المبسم، نظيفة المحيا، كملت فيها صفات الحسن وآيات الجمال، ليس في جمالها نقص وليس في مظهرها شائبة... هي عشيقة مغرية يطيب للعاشق الارتواء من فمها، بل من جسدها!! لكن العاشق العاقل يجب أن يتريث في الانتماء إليها، لأن جوهرها ليس كمظهرها، وأخلاقها ليست كخلقتها.

3- الألق الظاهر في شكلها مشوب بالزيف والكذب وإخلاف الموعد، والخديعة والنفاق، ليست صادقة، وليست وفية، فامرأة بهذا الوصف يجب هجرها والرحيل عنها، صوت كعب:وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلاَّ أغنُّ غضيض الطَّرف مكحول

هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ

تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا اِبتَسَمَت كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ

يا وَيحَها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت ما وَعَدَت أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ

لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ

فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ

وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ

(ديوان كعب بن زهير,ج1,62)

أهمية البحث

جاءت أهمية هذه الدراسة من منطلق التوظيفات الفنية التي استخدمها الامام معروف النودهي بين قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وبين أبياته اللامية في تخميسته اذ نلاحظ التشبيهات ذاتها بين النصين، فموصوفة النودهي فريدة في جمالها للحد الذي أضحت نسيج وحدها في الجمال، فاقت النجوم سطوعا وضياء، ما اختلف جمال مبسمها عن جمال صاحبة كعب، فهي الفضلى في كل صفة من صفات الجمال الظاهر... لكنها لم تحظ بالجمال ذاته في أخلاقها، لم تصدق موقفا، ولم تف وعدا، شيمتها الغدر والخيانة... حتى بدا العلامة النودهي مترجما لبانت سعاد، أو أنه كان تبسيط بعض الغرابة في لغة البردة.

ولأن سعاد عشيقة كعب ليست محط الثقة المرجوة، وليست حبيبة صادقة قرر كعب الرحيل عنها رحيلا أبديا لا رجعة فيه، واختار لهذه الرحلة واسطة تقله من أبعد الأماكن إلى أقصاها، وهنا يأخذ وصف الناقة مداه في التشبيهات والاستعارات والكنايات ، بل وكل مسميات البلاغة العربية التقليدية، حتى بدت تلك الناقة سفينة صحراء حقيقية كما يحلو للبعض أن يسمي النوق.

. فبعد أن تخلص الشاعران كعب والنودهي من موضوع الغزل تخلصا إلى الرحلة، واعتاد الشعراء العرب القدماء على اتخاذ الناقة وسيطا للرحلة، ولابد أن تكون الناقة بمواصفات خاصة تتحمل مشاق السفر ومتاعب الرحلة.

فواسطة رحلته ــ ناقته ــ من (العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ، عُذافِرَةٌ، ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعَمٌ مُقَيَّدُها، في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ، حَرفٌ أَخوها أَبوها مِن مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّها خَالُها،...) وصاغ لها من موصفات النجابة أعلاها في الأصل والقوة والتحدي، وهو بهذا التشفير يريد القول: إنّ طريق رحلته ليس سهلا تشهد علية قوة تلك الناقة، ثم إنّه تحمل كل ذاك العناء من أجل الوصول إلى الرسول "ص".

ولم تبعد ناقة النودهي كثيرا عن ناقة كعب في النجابة والقوة، فهي: (شملَّةٌ في المسير، كم مهمهٍ قطعت واللَّيل في غسقٍ، لها على نصب الأسفار مقدرةٌ، كوماء ما مسَّها البأساء من مرضٍ،...) فعلى الرغم من البعد الزمني بين

حياة الشاعرين، وعلى الرغم من الظروف المحيطة بحياة الشاعرين؛ فكعب بن زهير رجل بدوي نظم قصيدته ولم يخلع ثوب الجاهلية بعد، والنودهي رجل حضري مدني ينتمي لبيئة ليست بيئة كعب، مع إختلاف الأعراق والأصول فذاك رجل عربي وهذا رجل كردي، فإن النودهي أفلح في مجاراة ثقافة أهل البادية والصحراء، حتى كأنّه بدوي، ما انفك يرعى الإبل، ويعرف النجائب منها من السواد، وهنا يكمن الإبداع في الفن، وتظهر ثقافة المبدع وقدرته على الانتماء للظروف التي تمليها مناسبة القصيدة.

في خبر كعب بن زهير بن أبي سلمى إنّه كان في البادية، في مضارب قبيلته مزينة، وصلت إليه مالكة من أخيه بجير الذي دخل إلى الإسلام حديثا يقول له: إن كان لك في نفسك حاجة فإما أن تهرب من أرض العرب أو تدخل إلى الإسلام لأنّ النبي "ص" قد أهدر دم الشعراء المشركين، فاتخذ قراره في الذهاب إلى المدينة لدخول الإسلام، وهنا يحكي القصة:

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

لا تَأخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ (ديوان كعب بن زهير, ج1 ,65)

فرضيات البحث

افترضت الدراسة في تخميس اللامية للإمام معروف النودهي على قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير بأسلوب التوظيف الفني الذي وظفه النودهي حيث تميزت هذه الفرضيات بعدة أمور :-

1- الاشتراك في مشاعر الحزن والقلق والمعاناة والألم والفراق الذي عبر عنه الشاعر كعب بن زهير بل كانت محاكاة القصيدة في أسلوب الشكوى التي ظهرت في النصوص الشعرية للقصيدة .
2- الاقتراب من اختيار الأسلوب الأدبي الذي استخدمه الشاعر كعب بن زهير من جهة النقد الأدبي الذي وظفه النودهي وشمل به العروض والقافية مما جعل منها إمكانية افتراضها قصيدة واحدة
3- افتراض الوصف الفني في القصيدة كأحد الأساليب الأدبية المهمة التي استخدمها النودهي , بل زاد في وصفه وصفا آخرا لما يمر به من مشاعر مشتركه بينه وبين الشاعر.
4- اختيار الألفاظ الغريبة والغامضة التي افترضها الشاعر في قصيدته مما جعلت القصيدة أقرب إلى أسلوب الخطابي بشكل مباشر مع ان معنى الإيحاء والترميز واضح فيها بل أنها لا تخلو من التشفير وحتى الاستعارة كذلك.

تلك المميزات التي توفرت في فرضيات البحث جعلت الدراسة في مصاف القصائد التي تناولها علماء اللغة والنقد الأدبي، حيث لا غبار على أسلوب الإبداع في التوظيف الفني المستخدم فيها وذلك لإجادة النودهي في محاولته لمحاكاة النص الشعري في قصيدة بانت سعاد المعروفة .

محتوى البحث

احتوت هذه الدراسة في طياتها الأساليب الإحصائية في النصوص الشعرية الأصلية والأساليب الإحصائية في النصوص الشعرية المضافة من قبل النودهي في التخميس الذي استخدمه .

كما تضمنت أهم المتغيرات التي طرأت على الأسلوب الأدبي في القصيدة وأهم المفارقات الأدبية في محاكاة النص الشعري لها مما جعل الاندماج منسجما في قصيدة واحدة

التخميس في (االلغة لاصطلاح)

اولا : التخمس لغة: مُخَمَّس: (اسم) الجمع : مُخمَّسات

اسم مفعول من خمَّسَ

المُخَمَّسُ : (في الهندسة) : شكلٌ عددُ أضلاعه خمسة

شِعْرٌ مُخَمَّسٌ : شِعْرٌ مُقَسَّمٌ إِلَى قِطَعٍ، كُلُّ قِطْعَةٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ خَمْسَةِ أَسْطُرٍ. (الفراهيدي واخرون , ج1, 204)

ثانيا : التخميس اصطلاحا: هو أن يستعير الشاعر بيتاً لغيره من الشعراء ويجعل صدره بعد ثلاثة أبياتٍ يكتبها هو وتكون ملائمةً للبيت الذي استعاره، فيحصل على بيتين ثم يضع عجز البيت الأساسي بعد البيتين فيحصل على خمسة أشطرٍ شعرية ومن هناك جاءت تسمية التخميس أو المخمّس، وقد ينظم الشاعر بيتين أو ثلاثة قبل البيت الأساسي فيسمى ذلك تسديساً أو تسبيعاً وما فوق.(القيرواني الازدي , 1981م , ج1, 180).

افتتح كعب قصيدته بمقدمة غزلية اختلف النقاد في تاويلها، اذ أنشد:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ (ديوان كعب بن زهير ,1967م ,ج1,60)

وهي قصيدة لامية، وقافيتها فَعِلُن مخبونه، فيما أصاب العروضة القطع، افتتحها الشاعر بذكر سعاد، فظهر معجبا بها إعجابا واضحا، يتبين في أبيات المقدمة الغزلية الستة الأولى، والشاعر يقف يوم الرحيل يودعها ويذكر في الافتتاح شيئا من جمالها، فهي كحلاء حيّةٌ خجولة.

حاول النودهي السير على خطى كعب في تخميس قصيدة يمدح بها النبي محمد "ص" فالتفت أولا إلى الافتتاح فصاغ على منواله ثلاثة أشطر الأولى من مخمسته:

دمي ودمعي مدرارٌ ومطلول والقلب مضطربٌ والعقل مخبول

أشكو الفراق وعقد الصَّبر محلول (النودهي ,1985,71)

فلم تك مضامين هذا الافتتاح بعيدة عن المعاني التي ضمها بيت الاستهلال في لامية كعب، لكنه زاد على وصف سابقه وصفا آخر لحاله، فكعب لم يبك لفراق سعاد، ولم تذرف عيناه دمعا ولا دما مثل عيون معروف، وتشاطر الشاعران في الحزن ومعاناة الفراق والشكوى والألم. وأصابت أشطر النودهي الأولى علتا القطع في العروضة، والخبن في ضربها. وتكاد المقدمتان أن تكونا واضحتي المعنى خلتا من الألفاظ الغريبة أو الغامضة، كما أنهما مقدمتان أقرب إلى الخطابية المباشرة منهما إلى الإيماء والترميز والتشفير.

وإذا شئنا الموازنة الفنية في الاستهلال بين النص اللاحق " المخمسة" والسابق" اللامية، فإننا نجد النودهي اقتفى اثر كعب في وصف مفاتن حبيبته، فهي كما سعاد عشيقة كعب، رشيقة أنيقة، يفوح فمها عطرا، وأردانها مسكا، عذبة المبسم، نظيفة المحيا، كملت فيها صفات الحسن وآيات الجمال، ليس في جمالها نقص وليس في مظهرها شائبة... هي عشيقة مغرية يطيب للعاشق الارتواء من فمها، بل من جسدها!! لكن العاشق العاقل يجب أن يتريث في الانتماء إليها، لأن جوهرها ليس كمظهرها، وأخلاقها ليست كخلقتها.

فالالق الظاهر في شكلها مشوب بالزيف والكذب وإخلاف الموعد، والخديعة والنفاق، ليست صادقة، وليست وفية، فامرأة بهذا الوصف يجب هجرها والرحيل عنها، صوت كعب:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلاَّ أغنُّ غضيض الطَّرف مكحول

هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ

تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إذا اِبتَسَمَت كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ

يا وَيحَها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت ما وَعَدَت أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ

لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ

فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ

وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ

كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيل (ديوان كعب بن زهير,ج1,62)

كسر كعب بن زهير أفق توقع المتلقي، فلم يكن متوقعا أن ينعطف كعب في وصف سعاد من تلك المنزلة العلية في الجمال والترف ليهبط بها إلى الدرك الأدنى من الأخلاق، وعرض سلوكها إلى الصفات الشائنة كلها؛(قَد سيطَ مِن دَمِها فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ)، تتلون (كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ)، ليس لها موقف ثابت (كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ)، ضرب المثل في كذب مواعيدها (كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً). ثم صوت النودهي:

ما مثلها أبصرت عينٌ مخدَّرةً فاقت صباحتها المصباح مسفرةً

وأين منها نجوم اللَّيل مزهرةً؟

حوراء عيناء عمَّا شان قد سلمت لها محاسن في أترابها عدمت

أسنانها درٌ في سمطها نظمت

أحسن بها غادةٍ نجلاء إذ رمقت وللقلوب بنبل اللَّحظ قدر شقت

وفي الجمال نساء الحيّ قد سبقت

لم تحظ من وعدها نفسي بمأربها فأشكل الأمر لَّما صار مشتبها

إذ حالها كلَّ حينٍ في تقلبها

كم أيَّست طامعاً فيها وكم طردت وكم خلالٍ لها بالغدر قد شهدت

وكلَّما رمت منها القرب قد شردت

متى جنحت إليها تبتغي أملا فأنَّها خيَّبت من وصلها سأل وعن معرَّة غدرٍ لن ترى حولا

(النودهي ,1985, 80)

نلحظ التشبيهات ذاتها بين النصين، فموصوفة النودهي فريدة في جمالها للحد الذي أضحت نسيجا وحدها في الجمال، فاقت النجوم سطوعا وضياء، ما اختلف جمال مبسمها عن جمال صاحبة كعب، فهي الفضلى في كل صفة من صفات الجمال الظاهر... لكنها لم تحظ بالجمال ذاته في أخلاقها، لم تصدق موقفا، ولم تف وعدا، شيمتها الغدر والخيانة... حتى بدا العلامة النودهي مترجما لبانت سعاد، أو أنه كان تبسيط بعض الغرابة في لغة البردة.

ولأن سعاد عشيقة كعب ليست محط الثقة المرجوة، وليست حبيبة صادقة قرر كعب الرحيل عنها رحيلا أبديا لا رجعة فيه، واختار لهذه الرحلة واسطة تقله من أبعد الأماكن إلى أقصاها، وهنا يأخذ وصف الناقة مداه في

التشبيهات والاستعارات والكنايات ، بل وكل مسميات البلاغة العربية التقليدية، حتى بدت تلك الناقة سفينة صحراء حقيقية كما يحلو للبعض أن يسميها.

. فبعد أن تخلص الشاعران كعب والنودهي من موضوع الغزل تخلصا إلى الرحلة، واعتاد الشعراء العرب القدماء على اتخاذ الناقة وسيطا للرحلة، ولابد أن تكون الناقة بمواصفات خاصة تتحمل مشاق السفر ومتاعب الرحلة.

فواسطة رحلته ـ ناقته ـ من (العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ، عُذافِرَةٌ، ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعَمٌ مُقَيَّدُها، في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ، حَرفٌ أَخوها أَبوها مِن مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّها خَالُها،...) وصاغ لها من موصفات النجابة أعلاها في الأصل والقوة والتحدي، وهو بهذا التشفير يريد القول: إنّ طريق رحلته ليس سهلا تشهد عليه قوة تلك الناقة، ثم إنّه تحمل كل ذاك العناء من أجل الوصول إلى الرسول "ص".

ولم تبعد ناقة النودهي كثيرا عن ناقة كعب في النجابة والقوة، فهي: (شمِلَّةٌ في المسير، كم مهمهٍ قطعت واللَّيل في غسقٍ، لها على نصب الأسفار مقدرةٌ، كوماء ما مسَّها البأساء من مرضٍ،...) فعلى الرغم من البعد الزمني بين حياة الشاعرين، وعلى الرغم من الظروف المحيطة بحياة الشاعرين؛ فكعب بن زهير رجل بدوي نظم قصيدته ولم يخلع ثوب الجاهلية بعد، والنودهي رجل حضري مدني ينتمي لبيئة ليست بيئة كعب، مع اختلاف الأعراق والأصول فذاك رجل عربي وهذا رجل كردي، فإن النودهي أفلح في مجاراة ثقافة أهل البادية والصحراء، حتى كأنّه بدوي، ما انفك يرعى الإبل، ويعرف النجائب منها من السواد، وهنا يكمن الإبداع في الفن، وتظهر ثقافة المبدع وقدرته على الانتماء للظروف التي تمليها مناسبة القصيدة.

في خبر كعب بن زهير بن أبي سلمى إنّه كان في البادية، في مضارب قبيلته مزينة، وصلت إليه مألكة من أخيه بجير الذي دخل إلى الإسلام حديثا يقول له: إن كان لك في نفسك حاجة فإما أن تهرب من أرض العرب أو تدخل إلى الإسلام لأنّ النبي "ص" قد أهدر دم الشعراء المشركين، فاتخذ قراره في الذهاب إلى المدينة لدخول الإسلام، وهنا يحكي القصة:

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني وَالعَفوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ ال قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

لا تَأخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ

(ديوان كعب بن زهير, ج1 ,65)

والأبيات تفصح عن مضمونها، فالشاعر يعترف بأنّه جاء إلى الإسلام يعتذر عما بسبب ما أشيع أنه كان ضد الدين وضد الدعوة الإسلامية، وهو هنا يقدم اعتذارا واضحا، ويحاول تفنيد ما اتهم به.

على وقع خوف كعب قبل إسلامه وحذره من التهديد الذي وصله من المسلمين، سارت مخمسة النودهي، حتى بدا الشيخ نفسه خائفا وجلا من تهديد:

إن كان أكرم خلق الله هدَّدني فحسن ظنِّي به للباب أوردني

فالصَّفح عن تائبٍ من خلقه الحسن

يا من عليه بوحيٍ جبرئيل نزل ومن لساحته شدَّت رحال أمل

أتيت بابك والدمَّع الهتون همل

سيَّداً خصَّه المولى بخير شيم ومن يفيض على الرَّاجي سجال نعم

ومن هو الرَّحمة العظمى لكلِّ أمم

(النودهي ,109)

وبالاعتذار الموشى بالمديح والاطراء اختتم الشاعران مطولتيهما.

بقي أن نشير إلى أنّ النودهي سار في مخمسته على وفق البناء الفني والموضوعي نفسه الذي رسمه كعب في البردة، الاستهلال الغزلي تضمن الإعجاب فالذم، الرحلة بواسطة ناقة نشيطة مكتنزة قبل بداية السير، ثم أصابها الإعياء والنصب والتعب لما وصلت إلى حضرة الرسول ص، ثم تقديم آيات الاعتذار فالمديح.

الاستنتاجات

نستنتج من هذه الدراسة مايلي :-

1- نجاح الأسلوب الأدبي المستخدم من قبل معروف النودهي حيث برز التخميس في القصيدة بالرغم من انتقالاته من التخميس إلى التربيع والتسديس من غير مواجهة أي صعوبة ولا حدوث أي خلل في الوزن والقافية ولافي غيرهما .
2- التوظيف الفني الرائع الذي لامس الوجدان فيوصف المشاعر التي اشتركت بين الشاعرين وخاض معها غمار تلك العواطف الجياشة مما أوصل السامع حجم التأثر والتأثير الكبير في نفس النودهي
3- إضافة عنصر الإبداع في محاكاة النص الشعري حيث أبدع فيه معروف النودهي من خلال المنظومة الفكرية التي يتمتع بها إضافة إلى النقد الأدبي ولم يكن غريبا عليه ذلك .
4- استطاعت هذه الدراسة تسليط الضوء على التوظيف الفني لقصيدة بانت سعاد والمعروفة ب(البردة) والتركيز على أهم الأساليب الأدبية المستخدمة إضافة إلى فنون النقد الأدبي ومحاكاة النص الشعري والذي نعتقد أنه ساهم في الفات نظر الباحثين والمختصين على أهمية القصيدة وكونها من أهم القصائد التي اهتموا بها في النقد والأدب القديم .

التوصيات

نوصي كافة الباحثين والمهتمين في فكر النقد والأدب وعلماء اللغة بالاتي :-

1- كثرة واتساع الدراسات حول قصيدة بانت سعاد لما لها من تأثير واسع في الدراسات الأدبية.
2- التركيز على التوظيفات الأخرى التي لا يسع المقام لذكرها .
3- الدعوة إلى دراسة العروض والاهتمام النقدي للقصيدة أكثر مما هو عليه وخصوصا النصوص الشعرية المشتركة معها .
4- المحاولة في فرض و تكرار مثل هكذا دراسات في الندوات والمؤتمرات التي تختص في قصيدة البردة كونها لامست سيرة نبينا الأكرم صلى الله عليه واله وصحبه وتأخذ أهميتها من ذلك المنطلق المقدس أيضا.

راجين أن تؤخذ هذه التوصيات في عين الاعتبار والحمد لله رب العالمي

قائمة المصادر والمراجع

- ديوان كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، أبو المضرب الشاعر المخضرم (ت26ه) ، تحقيق علي فاعور – دار الكتب العلمية – 1967م .

- طبقات فحول الشعراء لابن سلام بن عبيد الله الجمحي، ابو عبدالله (ت 232ه) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني – جدة .

- كتاب الأغاني : علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القريشي أبو الفرج الأصفهاني ، (ت356ه) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط 1 ، 1415ه .

- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170ه) ، تحقيق :د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني ، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ه) ، تح: علي شيري ، دار الفكر ، ط٢ ١٤٢٤ .

- لسان العرب محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي (ت711ه) ، دار صادر – بيروت ط 3 ، 1414.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣ه) تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط٥، ١٩٨١م .

-مقدمة الأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهي، (ت 1254ه) ، دراسة وتحقيق السيد بابا علي بن الشيخ عمر القرداغي ومجموعة من المحققين ، مطبعة العاني – بغداد ، 1985

Abstract

The research boils down to imitating poetic texts inherited from the predecessors, which are several arts followed by poets, ancient and modern, including Al-Husari Al-Qayrawani, Ahmed Shawqi, and others. The most .important of these arts are quadrature, pentagon, and hexagon

This study is an attempt to analyze the poem “Bant Souad” by the poet Ka’b Ibn Zuhair, which was called “Al-Burda” and which Al-Nodhi used, making it another poem distinguished by the same style and presentation. This study was an analysis of the artistic use to show the images of convergence and distance **”.**between it and the poem “Al-Burda

پوختە

لێکۆڵینەوەکە دەکوڵێتەوە بۆ لاساییکردنەوەی دەقە شیعرییەکان کە لە دەقە شیعرییەکانی پێش خۆیەوە بۆیان ماوەتەوە، کە چەند هونەرێکن کە شاعیران پەیرەوی دەکەن، دێرین و مۆدێرن، لەوانە الحساری قەیرەوانی، ئەحمەد شەوقی و ئەوانی تر. گرنگترینی ئەم هونەرانە بریتین لە چوارگۆشە و پێنجگۆشە و شەشگۆشە.

ئەم لێکۆڵینەوەیە هەوڵێکە بۆ شیکردنەوەی شیعری ‘‘بانت سوواد’’ی شاعیر کەعب ئیبن زوهێر کە ناوی ‘‘البوردە’’ بووە و ئەلنودی بەکاری هێناوە، ئەمەش وایکردووە شیعرێکی دیکەی بەهەمان شێواز و پێشکەشکردن جیابکرێتەوە. ئەم لێکۆڵینەوەیە شیکارییەک بوو بۆ بەکارهێنانی هونەری بۆ نیشاندانی وێنەکانی لێکنزیکبوونەوە و دووری نێوان خۆی و شیعری ‘‘البوردە’’.